

الوافي في الوفيات

فما سمعوا نداء الرُّقبا ولا منعوا حمى الوَقبي ولا قابلوا سهام القسيِّ بوكورٍ من نحورهم ولا عاملوا ثعالب صدور الرماح بوجارٍ من صدورهم بل اتخذوا الليلَ لِسُراهم حملاً وعملوا الفرارَ لنفوسهم على رؤوسهم جَدلاً وسلكوا من وُعور الفجاج بفرارهم قبل مخالطة العجاج سُدلاً فتحكمت يدُ القتل والأسر في إبطال أطلايهم واستولت غَلابةُ النهب والسلب على أثقالهم وأسلايهم وتقسما بين هَزيم وأسير وجريح وقتيل وانتُصِف منهم وانتُصر عليهم " ولمن انتصَرَ بَعَدَ ظُلْمِهِ - فأولئك ما عَلايَهُم مِن سَدِيلٍ " وأسَرَ من معارفهم المذكورة ووجوههم المشهورة فلان وفلان . وأما النِكراتُ التي لا يدخلُ عليها التعريف والأدنياء التي لا يتطرق إليهم التشريف فجمعٌ يكثر عدده وبحرٌ يغزُر مدده ولم يَنجُ منهم إلا من كان في عَنان فرسه تقديمٌ وفي كتاب أجله تأخير ولا سلم منهم الا من كان في هربه تطويل وفي طلبه تقصير خصوصاً مقدمهم . فإنه سار سيرة الحارث بن هشام وطلب النجاة لنفسه فنجا برأس طِمْرٍ رَعةٍ ولِجَامٍ . وصيِّره الناصر جندياً فقال : كنتُ كاتباً جيداً فصرت جندياً رديئاً ومن مَغايط الدهر أنيُّ أفنيتُ عمري في الكتابة فصرتُ إلى الجنديَّة ولا أعرف منها شيئاً ونظم في ذلك :

أليس من المغايط أن مثلي ... يُقضي العُمُر في فنِّ الكتابه ° .
فيؤمر بعد ذلك باجتناِبٍ ... لها فيرى الخُطوب عن الخطابه .
ويُطَلَب منه أن يبقى أميراً ... يسدُّ د نحو من يلقي حِرابه .
وحقك ما أصابوا في حديثي ... ولا ليَ إن ركبْتُ لهم إصابه .
ولما كان ببغداد خُرَّج للشعراء من عندِ المستنصر ذهبُ على أيدي الحُجَّاب ولم يخرِّج إليه شيء فكتب إلى المستنصر :

لما مدحتُ الإمامَ أرجو ... ما نال غيري من المواهب .
أجدتُ في مدحه ولكن ... عُدت بجدِّ العَثور خائب ° .
فقال لي ما مدحوه لما ... فازوا وما فُزْتُ بالرغائب .
لِم أنت فينا بغير عينٍ ... قلتُ لأنني بغير حاجب .
ومن شعره :

وعَلِقَ نَفيسٍ تعلقته ... فزار على خلوةٍ وارتياح .
ولم يبق في المُرد إلا كما ... يقال على أكلةٍ والوداع .
فعاجلته عن دخول الكنيف ... بشحِّ مُطاعٍ ورأيٍ مُضاع .

فغرّ فني منه زوّ البطين ... ورواه مني نوء الذّراع .

ومنه :

على وّرد خدّيه وآسر عذاره ... يليق بمن يهواه خلع عذاره .
وأبذلّ جُهدي في مُداراة قلبه ... ولولا الهوى يقتادني لم أداره .
؟ أرى جنةً في خده غير أنني أرى جُلّ نارِي شبّ من جُلنارِه .
كغُصن النقا في ليينه واعتداله ... ورتم الفلا في جريده ونِفاره .
سكّرت بكأسٍ من رحيق رُضابه ... ولم أدر أنّ الموت عُقبى خُماره .
وكتب إلى بعض الملوك :

لو شرحتُ الذي وجدتُ من الوجّ ... د عليكم أمّلتكم وملّلتُ .
فلهذا خفّفتُ عنكم ولو شئتُ ... ت أن أُطيلَ أطلت .

غير أنّ العبيدَ تحمل عن قَل ... ب الموالي وهكذا قد فعّلت .

وقال في مليح نحوي :

بُلّيتُ بنحويٍّ يخالفُ رأيَه ... أوأنا فيجزيني على المدح بالمنع .
تعجبتُ من واوٍ تبدّتْ بمُدغّه ... ولم يحظني منها بعطفٍ ولا جمع .
ومن ألفٍ في قدّه قد أمالها ... عن الوصل لكن لم يُملها عن القطع .
وقال :

أيادٍ سمت آثارُها السحب فاعتدّت ... تُعباب إذا ما شُبّهت بالسحابِ .
فما الوعدُ منه بالطويل ولا ترى ... مَداه على حاكيه بالمتقارب .
منها :

سُيوفٌ إذا صلاّتْ سجدنَ رؤوسُهُم ... لآثار خيلٍ شُبّهت بالمحارب .

وقال أبو الحسين الجزار يمدح فخر القضاة ابن بصاقه :

عفا عفا قد جنّته يدُ الدهر ... فقد بذل المجهود في طلاب العُذر .
أحسنُ أن أشكو الزمانَ الذي غَدّت ... صنائعه عندي تجلّ عن الشكر